تناوب حروف الجر في ديوان امرئ القيس
دراسة وصفية تحليلية

د/ أحمد عبد الرحمن الذنيبات
كلية الآداب جامعة الطفيلة التقنية. الأردن

د/ نضال محمود الفراية
كلية الآداب، جامعة الإسراء. الأردن

ملخص:

يرمي هذا البحثُ إلى الكشفِ عن تناوبِ حروفِ الجرّ في ديوان امرئ القيس، وأنّ مسألة التناوب بين حروف الجرّ مسألةٌ أباحتها اللّغة لأبنائها قدماء ومحدثين على غير ما ذهب إليه بعضُ علماء العربيّة؛ كقول بعض القدماء البصريين بالتضمين بدلاً من التناوب، وتبعهم بعض المعاصرين في القول بأنّ تناوبَ بعض الحروف سماعيّ لا يجوز القياس عليه، لذا نهض هذا البحث على تعريف مفهومي التناوب و التضمين، وتوضيح أنَّ التضمين فيه بعد عن المعنى المراد من الفعل، ثم بسطَ البحثُ الأمثلةَ والشواهدَ من الديوان متتبعاً مواضع التناوب في مظان كتب اللغة وخصوصاً تلك التي اهتمت بالحروف ومعانيها.وخلص البحث إلى أن هذه المسألة لم تخرج عن طريق العرب في التعبير، وأنّه بالإمكان القياس عليها في لغة المحدثين.

Résumé:

This research aims at investigating the alternation of the prepositions in the poetry of Emre ol-Qais. The alternation of the prepositions is a matter which is allowed by Arabic language to be used by its people, the ancient and the modern. This is not as stated by some of the Arabic scholars. For instance, some of the ancient Basrees who used connotation instead of alternation. These were followed by the contemporary who said that the alternation of some prepositions are auditory by which can not be measured. Thus, this research is an attempt to define both concepts, alternation and connotation. It also shows that connotation is far from meaning which is required from the verb. Then, the researcher explains examples and evidence tracing the locations of alternation in language books, particularly, those which are concerned with prepositions and their meanings. The researcher concludes that this topic has not gone far from the Arab route of expression, and that it is possible to measure on it in the modern language.

تعدُّ مسألة تناوب حروف الجرّ (التضمين) من المسائل التي يبدو فيها اختلافٌ بين علماء اللغة القدماء والمحدثين، ويتبدّى هذا الاختلاف من استعمال البصريين مصطلح (التضمين) واستعمال الكوفيين مصطلح التناوب، لذا جاءت هذه الدراسة للكشف عن مواضع تناوب حروف الجر في ديوان امرئ القيس؛ فلا شكّ أنّ ثمّة مسوِّغاتٍ يدركها الشاعر أو أهدافاً يرمي إليها، وأنّ الأمرَ لا يتوقفُ عند إمكانية إنابة حرفٍ مكان آخر في تركيب الجملة نحويّا، وبخاصة أنّ الشعر الذي تجري عليه الدراسة لشاعر من أوائل شعراء العصر الجاهليّ، وهو عصرٌ من عصور الاحتجاج اللغويّ، كما أنّ النّصّ اللغويّ لا تستقيم قناته إنْ لم تتوافق البنية النحوية فيه والبنية الدّلالية المراد إيصالها للمتلقي، وربما أدرك الشاعر ذلك إدراكا عميقا، فراح يقيم بعض الانزياح في استخدام حروف الجرّ، وينيب بعضها مكان بعض؛ لذا فإنّ جهد الباحثينِ لا يتوقف عند استحضار الشواهد من الديوان، وإنما يعملان على توجيه هذه الشواهد وكشف مسوغات هذا التناوب، واستبصار جماليات المعنى التي تضيفها البنيات الجديدة.

وقبل الولوج في توجيه مواضع التناوب في الديوان، ارتأى الباحثان أن يقدّما تعريفاً لبعض المصطلحات اللغوية التي تخصُّ هذا البحث.

الجرّ: جاء في لسان العرب: الجرّ: الجذب، جَرّه يجرّه جَرّاً، وجررتُ الحبل وغيره، أجرُّه جرّاً، وانجرّ الشيء: انجذب... وتَجِرَة: تفعلة منه، وجارّ الضَّبُع: المطر الذي يجرّ الضَّباع من وجارها من شدته، وربّما سمّي بذلك السيل العظيم؛ لأنه يجرّ الضباع من وُجرها، وقيل: جارّ الضّبُّع أشدُّ ما يكون من المطر، كأنَّه لا يدعُ شيئاً إلّا جرَّه..."[1]، والجرّ من مصطلحات البصريين[1]؛ لأنّها تجرُّ ما بعدها من الأسماء، ويقول ابن يعيش: "وقد يسميها الكوفيون حروف الصفات لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات"[2].

التضمين: التضمين في النحو: إشراب لفظ معنى لفظ آخر فيأخذ حكمه[3]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[4]. فضمّن "تلقوا" معنى "تُفضوا"، وفي قول الشاعر[5]:

هنَّ الحرائرُ، لا ربات أَخمْرة سود المحاجر لا يقرأْنَ بالسُّور

فضمّن (يقرأن) معنى (يرقين ويتبركن) وأنّه يقال "قرأتُ بالسورة" على هذا المعنى ولا يقال قرأتُ بكتابك لفوات معنى التبرّك فيه، أو هو كلمة تؤدي مُؤَدّى كلمتين. مثل: فعل يتعدّى بحرف وفعل يتعدّى بآخر، والتضمين: تعدية الفعل بحرف الفعل الثاني، مثال على ذلك الفعل (سمع) يتعدّى بنفسه في الأصل، فتقول: سَمِعَ الصوتَ، لكنّنا في الصلاة وبعد رفع الرأس من الركوع نقول: (سمع الله لمن حمد)، فالفعل (سمع) هنا عُدِّي باللام؛ لأن المقصود هو فعل استجاب، فكأنما أخذنا اللام من فعل الاستجابة وعَدّينا فعل سمع بهذه اللام؛ لتعطي معنى الاستجابة، وليس الاستماع، فليس كل سماع استجابة.

ومصطلح التضمين من المصطلحات النقدية والبلاغية ساغ لبعض المحدثين أن يعده المقابل التراثي نقدياً لمصطلح التناص في الثقافة النقدية الحديثة[6].

تناوب حروف الجر: وقوع حروف الجر موقع بعضها للدلالة على المعنى، فالتناوب أن يأتي حرف بمعنى حرفٍ آخر كما في قوله تعالى: ﴿**عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ**﴾[7]. يقول المفسرون وأهل اللغة: إن الباء نائبةٌ عن حرف مِن[8]. وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾[9]. فإن (في) بمعنى (على). ومَن قال في التضمين فإنه ضمّن الفعل معنى يناسب الحرف، ففي الآية الأولى فإن الفعل (يشرب) مضمن معنى (يروي) الذي يناسب حرف الباء، وفي الآية الثانية فإنه ضمّن الفعل (لأصلبنكم) معنى فعل يتعدّى بـ(في).

ويبدو أن بعض علماء اللغة المعاصرين قد منع التناوب بين بعض حروف الجر: "وقد ذهبنا مذهباً يفضي بإبطال وقوع بعض حروف الجر موقع بعضها الآخر"[10].

هدف الباحثان من هذه الإطلالة السريعة على هذه المصطلحات تبيين أن علماء اللغة لم يقفوا موقفاً واحداً من مسألة تناوب حروف الجرّ، فقد وقفنا في تتبعنا مظان الكتب أنهم كانوا على ثلاثة مواقف[11]:

1. فمنهم من رأى أن لحرف الجر معنى واحداً أصلياً، وقد يأتي لمعانٍ أخرى ليست بأصلية.
2. رأى بعضهم أنه بالإمكان وضع أيّ حرفٍ مكان حرفٍ آخر مطلقاً.
3. يقول بعضهم: إن لكلّ حرف معنى واحداً فقط، وإنّما التغيير في الفعل الذي دخل عليه، فتضمنه معنى يصح أن يكون داخلاً على هذا الحرف المستشهد به.

التناوب بين حروف الجر في ديوان امرئ القيس[12]:

تتبع الباحثان مواضع تناوب حروف الجرّ في ديوان امرئ القيس، ووجدا أنّه يمكن حصرها فيما يلي، وقبل الولوج إلى تلك المواضع تجدر الإشارة إلى أنّنا لم نعتمد منهجا محددا في تناول الحروف، فحينا وفق ترتيب النحويين، وحينا وفق حجم التناوب المرصود.

مِنْ: يرى النحويّون أنّ لحرف الجر (مِنْ) معاني متعدّدة، مع الإشارة إلى أن بعضهم خالف ذلك، إلاّ أنّنا أخذنا بالآراء الغالبة، غير مسهبين في تفصيل أقوالهم، فتأتي (مِنْ) للتبعيض، وبيان الجنس، وابتداء الغاية المكانية باتّفاق المدرستين، والزمانية وهو قول الكوفيين، وللتنصيص (الزائدة)، وللبدل، وللظرفية، وللتعليل[13].

ومما رصده الباحثان من معانٍ لـ(من) في ديوان امرئ القيس:

من بمعنى في: يجيء حرف الجر (في) بمعنى الظرف، وذكر المالقي أنّه:" حرفٌ جارّ لما بعده ومعناها الوعاء"[14].يقول امرؤ القيس[15]:

فأوْرَدَها مِنْ آخرِ الليلِ مَشْرَباً بلاثِق خُضراً ماؤُهُنَّ قَلِيصُ

فيبدو أنّ (مِنْ) بمعنى (في)، أي تفيد الظرفية، وربما كان المسوّغ لهذا التناوب، هو المعنى الذي يكتنف السياق؛ إذْ يشي برغبة الشاعر بتحديد وقت انطلاق رحلة قطيع الحمير في بداية الجزء الأخير من الليل، فلو لم يحدث هذا التناوب، أي لو أنّ الشاعر استخدم (في) لكان المعنى أنّ الرحلة في آخر الليل دون أن يحدّد الوقت بدقة؛ أهو في أول هذا

الجزء أم في وسطه أم في آخره، أي في أيّ جزء من آخر الليل. كما في قوله تعالى: ﴿**إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ**﴾[16] أي في يوم الجمعة، والقول بأنّ (من) تفيد الظرفية هو قول الكوفيين، أما البصريّون فيعدّون (من) في مثل هذا لبيان الجنس[17].

وفي قوله[18]:

رُبَّ رامٍ من بني ثُعْلِ مُتْلِجٍ كَفَّيْهِ مِنْ سُتْرِهْ

وجاءت (من) بمعنى (في)، أي: مُدخل كفيه في سُتره، ورواها أبو عبيدة والأصمعي: "متلجٍ كفيه في قُترِهْ"[19]. وجاء في لسان العرب: "والقترةُ: ناموس الصائد قد اقتتر فيها، والبئر يحتفرها الصائدُ يكمن فيها"[20]. وقد وردت شواهد أخرى في الديوان[21].

ـمِنْ بمعنى عن: يذكر اللغويون أنّ لحرف الجر (عن) معاني متعددةً، وأنّ معناها في الأصل هو المجاوزة؛ لذا عُدِّيت بها الأفعال (صدّ، وأعرض وأضرب ونأى، واستغنى، ورغب) ونحوها[22]، "ومنه: باب الرواية والإخبار، لأنّ المرويَّ، والمخبرَ به مجاز لمن أخذ عنه"[23] فتقول: رويته عن فلان، وأخذت العلم عن فلان.

وجاء في الكتاب: "وقد تقع (من) موقعها (أي عن) أيضاً تقول: أطعمه من جوعٍ، كساه من عُري، وسقاه من العيمة"[24] يريد أطعمه عن جوعٍ، وعن عري، وعن العيمة، ويقول سيبويه: "ورميت عن القوس" لأنّه بها قذف سهمه عنها وعدّاها[25]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ**﴾[26]، أي عن جوع، وقوله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ**﴾[27]. أي عن ذكر الله؛ متجاوزين وتاركين ذكر الله. ومن الشواهد التي وردت في ديوان امرئ القيس قوله[28]:

فَأَضْحَى يَسُحُّ المَاءَ مِنْ كُلِّ فِيْقَةٍ يَحُوْذُ الضِّبَابَ في صَفَاصِفَ بِيْضِ

يبدو أن المعنى يفرض أن تكون (من) بمعنى (عن)، ويروي أبو سعيد السكري شارح الديوان: "والفِيقَة: ما بين الحلبتين؛ كأنه يحلب حلبة ثم يسكن ساعة ثم يحلب أخرى، يعني السحاب" "من كلِّ": عن بُعد"[29]، ورواه الأصمعي "وأضحى يسحُّ الماء عن كلِّ فِيقةٍ"[30].

وما يسوّغ إنابة (من) مكان (عن) أنّه يتابع السحاب الذي شبهه بالضرع الذي يجمع الحليب، فهو لا ينتظر تجميع الماء أو الوصول حدّ الامتلاء، بل أراد نزول ما فيها من ماء قبل أن تكتمل الفيقة، مثل الحالب الذي لا ينتظر امتلاء الضرع، وفي الأصل كانت (عن) التي تفيد سحّ الماء بعد الفيقة الأولى وقبيل أن يحين وقت الثانية، أي منع التقاء الفيقتين، ولكن (من) تكون أدقّ في السياق للوصول للمعنى المراد وهو الحرص على إنزال المطر والتعجيل فيه، وكأنّه بهذا الحرف ينزله قبيل انتهاء وقت الأولى للسرعة وليس قبيل دخول الثانية.

وقوله[31]:

وَبَيْتٍ يَفُوحُ المِسْكُ في حَجَرَاتِه بَعْيدٍ مِن الآفَاتِ غَيْر مُرَوَّقِ

فالمقصود: بعيد عن الآفات، فينيب الشاعر (من) مكان (عن) لأنّ الآفات ليس لها مكان حسيّ تبعد عنه، وإنّما هي معنوية ومكانها كذلك، كما في الآية الكريمة السابقة.

وقوله[32]:

وبينا كَانَ في الأَحْيَاءِ طَوْرَاً رَمَاهُ الدَّهْرُ مِنْ كَثَبٍ فَمَالاَ

ورواه أبو سهل: (عن كثب). وأكثر ما استُخدمَ في لغة العرب هذا التركيب. ولا يعني هذا أنّ اختلاف الرواية تعني التناوب، وإنّما نرى مسوّغَ التناوبِ هو استخدام (من) للقرب المعنوي للدهر وأنّه تمكّن من الوصول إليه.

_**إلى**: تأتي (إلى) لمعانٍ منها: انتهاء الغاية "زمانية، ومكانية" وللمعية بمعنى (مع)، والظرفية بمعنى (في)، وبمعنى (من)، وبمعنى (الباء)، وبمعنى (عند)[33].

_إلى بمعنى في: ذكرنا أن (إلى) تأتي بمعنى (في) كما في قوله تعالى: ﴿**لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾[34]. أي في يوم القيامة. وقوله تعالى: (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء)

وجاء في ديوان امرئ القيس قوله[35]:

ركب اللُّجَ إلى اللُّجِ إلى غمراتِ البَحْرِ ذي الموتِ الأَشَدْ

بمعنى(في غمرات البحر)، وتفيد المعاجم أنّ الغمرات في البحر معظمه، وهو خلاف الضحل، وهو ما يحدث فيه الموج المرتفع الذي يركب ويحمل راكبه، وإذ ذاك فإنّ (إلى) في هذا الموقع بمعنى (في)، إذ الأمواج تكون وسط غمرات البحر، ومن يركب الأمواج فقد دخل الغمرات وهي بذلك تشي بروح المغامرة والمخاطرة، فإنّ دخول وسط الشيء أكثر مخاطرة من الذهاب إليه، فالذهاب يحتمل التراجع، أما الدّخول فيعني التورط. وقد أنكر بعضهم مجيء (إلى) بمعنى (في)؛ لأنه لو جاز ذلك لجاز زيدٌ إلى الكوفة بمعنى "في الكوفة"[36]، والذي نراه في مثل هذا التناوب أنّه جائز في مواضع يصحُّ فيها، فـ"الحروف لا يوضع بعضها موضع بعض إلا إذا كان الحرف في معنى الآخر أو مردوداً إليه بوجهٍ ما"[37]، ومما يؤكد هذا التَّوجُّه في النظر إلى المعنى قول امرئ القيس[38]:

وَبَعْدَ مَعَدٍّ يَبْتَغِي حِرْزَ نَفْسِهِ إِلَى كَهْفِ غَارٍ يَحْسِبُ الكَهْفَ أَوْعَرَا

فالحرز يكون في الكهف، والكهف لا يكون إلا في داخل الأرض.

وقوله[39]:

وباتَ إلى أَرْطاةِ حِقْفٍ كأنّها إذا أَلْتَفَتْها غَبْيَةٌ بيتُ مُعْرِس

ويفسّر السكري البيت على أنّ المعنى "فريحُ بَعْرِهِ في مَكْنِسِهِ كريحِ بيتِ مُعْرِسٍ" [40].

نلحظ في الآية الكريمة (سآوي إلى جبل)، وكذلك في الأبيات الثلاثة أنّ قاصد المكان يبتغي الحماية، وأنّ السياق يقتضي الدخول، والحرف المناسب هو (في) غير أنّ الشاعر أناب عنه حرفا آخر، ونرجح أنّ السببَ في ذلك يعودُ لعدم تحقّق هدف الدخول وهو النجاة أو الفوز، فاختار (إلى) التي تجعل الوصول أو الدّخول كعدمه؛ فالجبل لم ينفع ابن نوح عليه السلام، وكذلك من دخل غمرات البحر، ومن طلب حماية نفسه في الكهف، وأخيرا الثور الذي ينشد الراحة في الأرطاة، ودفع المطر والرياح عنه، فجميعهم لم تتحقق لهم غاية، بل كانت النهاية أسوأ مما خُطِّط لها.

إلى بمعنى مع: نصّ بعض النحويين على أن (مع) إذا كانت متحركة العين فهي اسم مضاف منصوب على الظرفية، أما إذا كانت ساكنة العين فهي حرف جر، ومعناه

المصاحبة[41]، ونصّوا على أنّها تأتي بمعنى إلى، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ**﴾(خطأ! لم يتم العثور على إدخالات فهرسة.42). وقوله: ﴿**مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ**﴾[43]. وقوله: ﴿**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾[44]. أي: "أموالهم مع أموالكم"، و"مع الله" و "مع المرافق" وتقضي الضرورة "الشرعية" في الآية الأخيرة أن تكون "إلى" بمعنى "مع"، إذ إن معنى (إلى) انتهاء الغاية كما ذكرنا، فلو كانت على هذا المعنى في هذه الآية لما دخلت المرافق في حكم الغسل، وقد تكون هذه الآية الكريمة مع ما جاء في ثنايا هذا البحث ردّاً على أولئك الذين يمنعون التناوب.

ومثله في ديوان امرئ القيس[45]:

لَهُ حَارِكٌ كَالدِّعْصِ لَبَّدَهُ النَّدَى إِلَى كَاهِلٍ مِثْلِ الرِّتَاجِ المُضَبَّبِ

فقوله: (إلى كاهلٍ) بمعنى: (مع كاهلٍ)[46].

وقوله[47]:

له كفل كالدعص لبده الثرى إلى حارك مثل الغبيط المذأب

أي مع حارك[48].

إنّ القول بإنابة (إلى) بدل (عن) في الشاهدين جاء معتمدا على المعنى الذي يفيده السياق، فالحارك والكفل والكاهل من فروع الكتفين، وقد أشركها الشاعر في صفة الاجتماع والقوّة.

وقوله[49]:

خَرَجْنَا نُرَاعِي الوَحْشَ بَيْنَ ثُعَالَةٍ وَبَيْنَ رُحَيَّاتٍ إِلَى فَجّ أَخْرُبِ

فالرّحيات والأخربُ أسماء مواضع[50]، والمعنى أنهم خرجوا يتبصّرون الوحش في منطقة الرّحيات مع مناطق الأخرُب. ولعلّ امرأ القيس أناب (إلى) بدل (مع) لإفادة البعد المكاني، ونقصد مدى الجهد المبذول في مطاردة الصيد، ومن ثمّ ينعكس ذلك على إظهار مدى تحمّل الشاعر وصحبه المشقّة والعناء.

إلى بمعنى الباء: ذكر الأخفش أن (إلى) تأتي بمعنى الباء في مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ**﴾[51] أي بمعنى "بشياطينهم"، وعدّها الفراء زائدة للتوكيد[52]، وممّا رصدناه في الديوان قوله:[53].

فَصِرْنَا إِلَى الحُسْنَى وَرَقَّ كَلاَمُنَا وَرُضتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلاَلِ

أي فصرنا بالحسنى، والباء للإلصاق المجازي. ولعلّ تركه الباء وإنابة إلى عنها عائد لمشاركة الطرفين –الشاعر والمحبوبة– في الصيرورة والتحوّل إلى الحسنى، وكذلك المشاركة في الرقّة (كلامنا)، وثمة مشاركة وتبادل (رضت–فذلّت) بمعنى أنّ الفاعلية مشتركة من كليهما ولم تقتصر على أحدهما دون الآخر.

_**في:** يأتي حرف الجر (في) لمعانٍ، أهمها: الظرفية الزمانية والمكانية "حقيقية ومجازية" والسببية، والمصاحبة، والاستعلاء، والمقايسة، وبمعنى الباء[54].

ونصّ النحويون أن معنى (في) في الأصل هو الظرفية، يقول المبرد: "وقد يتّسع القول في هذه الحروف، وإن كان ما بدأنا فيه هو الأصل"[55].

في بمعنى (من): وردت شواهد قرآنية وأخرى شعرية على مجيء (في) بمعنى من، كما في قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً**﴾[56]. وقوله تعالى: ﴿**لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[57]، أي (من كلِّ) و(من ما أفضتم به).لقد تأوّل بعض العلماء تأويلاتٍ مضنية لرد (من) إلى الظرف أو الوعاء كما فعل المرادي في توجيه مجيء (مِن) في قول امرئ القيس[58]:

وهل يَعِمَنْ مَن كان أحدثُ عَهدِه ثلاثين شهراً في ثلاثةِ أحوالِ

يقول السكري: (يقول: من كان أقرب عهده بالرفاهية ثلاثين شهراً من ثلاثة أحوال، تكون (في) بمعنى (من)، وقد تكون (في) بمعنى (مع) في هذا المكان[59]، وأورد شواهد أخرى. فتأوّل المرادي تأويلاً قد يستقيم المعنى فيه على شاهد أو عدّة شواهد، لكن لا يمكن تعميم تأويله على كلِّ الشواهد التي تجيء فيها (في) بمعنى (من) يقول: "وإن كانت (في) بمعنى (من)، فإن (من) للتبعيض، وبعض الشيء داخل كله، فهي بمعنى الوعاء

المجازي"[60]، فقد يستقيم هذا التأويل على معنى (في) في البيت السابق، لكننا لا نستطيع حمل هذا التأويل على قوله تعالى (في ما أفضتم فيه)، لأن في بمعنى (من) التعليلية، وكذلك في قول امرئ القيس[61]:

وَفَوْقَ الحَوَايَا غِزْلَةٌ وَجَآذِرٌ تَضَمَّخْنَ فِي مِسْكٍ ذَكِيٍّ وَزَنْبَقِ

رواه أبو سهل والطوسي (من مسك)[62]، ومعنى (من) هنا التعليل. ومن المعروف أنّ استعمال العطر يناسبه حرف الجر (من) إذ إنّ الكمية المستعملة عادة قليلة وليست عملية اغتسال بالعطر، ولكن الشاعر يريد المبالغة أو إظهار مدى انتشار الرائحة الزكيّة، فالعملية زادت على التمسّح والرش حتى بلغت حدّ التضمّخ والتلطّخ، فلزم لذلك إنابة (في) مكان (من). وقوله[63]:

ألاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ أَلاَ انْجَلِ بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ فِيْكَ بِأَمْثَلِ

وجاءت روايته في شرح الزوزني (منك بأمثل)، وقال الزوزني في شرحه: "وهذا إذا رُويت وما الإصباح منك بأمثل، وإن رويت: (فيك) كان المعنى.."[64]. فربما كان مسوغ هذا التناوّب هو غرق الشاعر في الهمّ، فإذا ما ذهب ظلام الليل بمجيء الصباح فإنّ ظلام الهمّ لن ينجليَ، بل سيبقى الشاعر يعانيه كما أنّ النهار يبدأ وغبش الليل ما زال قائما.

في بمعنى على: ذكر النحويون أن في تأتي بمعنى على، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾[65]. وقول سويد بن أبي كاهل[66]:

وَهُم صلبوا العبدِيّ في جذعِ نخلةٍ فَلاَ عطستْ شيبانُ إلا بأجدعا

بمعنى (على جذوع النخلِ) و(على جذع نخلةٍ)، ومعنى (على) هنا الاستعلاء.

(لأنه معلوم أنّه لا يصلب في داخل جذع النخلة وقلبها)[67]، ومن ذلك قول امرئ القيس[68]:

فَتواثقا باللهِ ربِّهما في قُلَّة الإخلافِ والحَبْسِ

فالفعل (تواثق) بمعنى تعاهد ويعدّيان بـ(على)، يمعنى على قلّة الإخلاف؛ لأنّ القلّة تكون في أعلى القمّة، ويكون التحالف عليها، أي على أعلاها وليس فيها.وقوله[69]:

فَسَحّت دُموعي في الرّداء كأنّها كُلىً مِنْ شَعِيبٍ ذاتِ سَحٍّ وتَهْتَانِ

والمعنى: فسحَّت دموعي على الرداء؛ لأنّها تتخلّل الرداء لغزارتها. وقوله:

خَبَّيْتُ أوسطَهُ للقوم إذْ نَصَبوا وَظَلْتُ في عَلَمٍ مُوفٍ على وادِ[70]

فالمعنى (على عَلَمٍ)،لأن استشراف الوادي؛يعني النظر إليه من مكان مرتفع وقمة الجبل ترقب الوادي، فيكون المراقب على القمة كاشفا الوادي.وورد غير ذلك في الديوان[71].

في بمعنى (مع): ذكر الكوفيّون أن (في) تأتي بمعنى (مع)[72]، كما في قوله تعالى: ﴿**ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ**﴾[73] بمعنى (مع أمم)[74]، وقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً**﴾[75]. أي: "مع كلّ أمَةٍ"[76]، وقد جاء في ديوان امرئ القيس قوله[77]:

وهل يَعِمَنْ من كان أقربُ عَهْدِهِ ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال

يقول السكري[78]:" تكون (في) بمعنى (من)، وقد تكون (في) بمعنى (مَع) في هذا المكان، فتبدو رغبة الشاعر واضحة في إظهار ما تعرّض له من مشاق وبعدٍ عن الهناء والرفاه؛ لذا أناب (في) محلّ (مع) بسبب تداخل الزمنين: ثلاثين حولا مع ثلاثة أحوال كما قال النابغة الجعدي:

دلوح ذِرَاعَيْن في بِرْكَةٍ إلَى جُؤْجُؤٍ دَهَلِ المُنْكَسَرْ

في بِركَةٍ، أي مع بِرْكَةٍ والبِرْكَةُ: الصَّدْرُ".

على: تكون (على) اسماً وفعلاً وحرفاً[79]، ويهمّنا –هنا– مجيئها حرفا عاملاً الجر فيما بعده، فتأتي لمعان: الاستعلاء، والظرفية، وبمعنى (من) وبمعنى الباء، والتعليل، والمجاوزة، والمصاحبة، والاستدراك[80].

على بمعنى في: تأتي (على) بمعنى (في) للظرفية كما في قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا**﴾[81] بمعنى: "في حين غفلة"[82]. ومما جاء في الديوان[83]:

كَأَنَّ التِّجارَ أَصعدوا بِسِبيْئَةٍ مِنْ الخُصِّ حتّى أنزلوها على يُسُرْ

بمعنى (في يسر)، واليسر موضع سكن فيه امرؤ القيس في الحزن[84]، فهم حلّوا في المكان فاحتواهم، أما مسوِّغ إنابة (على) مكان (في) فلَعَلّهُ عائد لقدوم القوم من مكان بعيد، وكأنّ حلولهم بهذه الصورة على المكان عامة، أما من يأتي من قرب فإنّه يتعامل مع جزئية المكان، وعندها يكون الزمن المناسب (في).

وقوله[85]:

وَنَاصِيةٌ غَمَّاءُ كَالفَرْعِ رَسْلَةٌ على خطِّ شِمْراخٍ لَهُ غَيرِ أمعرا

فمعنى كلامه أن له شَعْراً كثيفا في خطّ غرته[86] التي تشبه شمراخ عذق النخلة، فتكون على –هنا– بمعنى (في).

وقوله[87]:

ومَا طَرَبُ اللّهيفِ إِلَى الغَوانِي عَلَى عُقَبِ المشيبِ مِنَ السّداد

فكأنّ (على) تفيد الظرفية المجازية، فالملهوف إلى الغواني في مرحلة الشيب بعد الشيب ليس موفقاً في مسعاه هذا، وقد أفاد التناوّب في هذا الموضع إعطاء السياق عمقا في المعنى وبعدا في الأداء، وورد في الديوان غير ذلك[88].

على بمعنى (من): وتأتي على بمعنى (من) كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ**﴾[89]. وقوله تعالى: ﴿**لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ**﴾[90]. والمعنى في الآيتين الكريمتين (من الناس)و(من أزواجهم)، أما البصريون فأوّلوا ذلك على التضمين، فأوّلوا (اكتالوا) معنى: (حكموا) و"حافظون" معنى: "قاصرون"[91]، وجاء في الديوان من ذلك[92]:

حتّى كأنّ رُسُوم الدّار إِذْ قَدُمَتْ طِرْسٌ على عهد ذي القرنين مكتوبُ

والطرسُ: الصحيفة[93]، فيكون المعنى: أن آثار الدّار لما تقادم عهدها صحيفة مكتوبة من زمن عهد ذي القرنين، فعلى بمعنى (من) التي تفيد ابتداء الغاية الزمانية.وقوله[94]:

إذْ لا أزالُ على أرجاءِ مُظْلِمةٍ أَبغيكَ فيها سناءَ الذِّكرِ والمالا

أراد من أرجاء مُظْلِمَةٍ.

على بمعنى (الباء): قد تأتي على بمعنى (الباء) كما في قوله تعالى: ﴿**حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ**﴾[95] أي: (بان لا أقول)[96] وقرأ بها أُبيّ (وضع مكان على الباء)[97]، وقال أبو حيان: وقال أبو الحسن والفرّاء والفارسي على بمعنى الباء، كما أن الباء بمعنى على في قوله: ﴿**وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ**﴾أي على كلِّ صراط[98]. وجاء في الديوان على ذلك[99]:

بِأَيِّ عَلاَقَتِنَا تَرْغَبُونَ أَعَنْ دَمِ عَمروٍ على مَرْثَدِ

فأراد: ترغبون عن دم عمرو بمرثد[100]، فهو يستنكر ذلك ويستعلي بدم عمرو على دم مرثد فكان التناوب.

على بمعنى إلى: لم نقف في كتب اللغة على معنًى لـ(على) بمعنى (إلى) إلاّ أنّنا عثرنا في الديوان على ما يشير إلى إمكانية التناوب بين (على) و(إلى). يقول امرؤ القيس[101]:

ترى الفأر في مُسْتَعْكِدِ الأَرْضِ لاحباً على جَدَدِ الصحراء مِنْ شَدِّ مُلْهِبِ

ويرويه أبو سهل (إلى جَدَدٍ)[102]، وقوله[103]:

بِعَيْنَيْكَ ظُعْنُ الحيِّ لمَّا تحمَّلوا عَلَى جَانِبِ الأَفْلاجِ مِن بطنِ تَيْمَرَا

يقول محققا الديوان أنّ هناك رواية أخرى لأبي سعيد السكري جاء فيها (إلى جانب الأفلاج)[104]. والحقيقة أنه يمكن النظر إلى هذين البيتين من جهتين:

أولاهما: يمكن عدّ مجيء (على) بمعنى (إلى) هو من باب التناوب؛ لأنَّ حروف الجر ينوب بعضها عن بعض؛ ولأنّ كلَّ واحدٍ منها يوصل النقل إلى الاسم[105].

ثانيتهما: اختلاف الرواية ليس دليلاً على التناوب بين الحرفين، وإنّما يكون المعنى في كلّ رواية وفق الحرف المرويّ، وأن اختلاف الرواية يعود إلى الرواة أنفسهم، إذ لا يعقل أن الشاعر يقول البيت الواحد بروايتين مختلفتين، وهذا ما يرجّحه الباحثان.

الباء: ذكر اللغويون أن للباء ثلاثة عشر معنًى، فتكون للإلصاق والتعدية، والاستعانة، والتعليل، والمصاحبة، والظرفية، والبدل، والمقابلة، والمجاوزة، والاستعلاء، والتبعيض، والقسم، وبمعنى إلى[106]. وذكر سيبويه أنها تكون للإلصاق، وأما معانيها الأخرى فهي من باب التوسع، "وباء الجرّ إنما هي للإلزاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجتُ بزيدٍ، ودخلتُ به، وضربته بالسوط: ألزقتَ ضرْبَك إياه بالسّوط، فما اتَّسع من هذا، فهذا أصله"[107].

ونيابة الباء عن غيرها من الحروف الجارّه إنّما هو مذهب الكوفيين ومن وافقهم في أن حروف الجرّ قد ينوب بعضها عن بعض، وأما مذهب البصريين فهو إبقاء الحرف على معناه الأصلي، إما بتأويل يقبله اللفظ، أو تضمين الفعل معنى آخر يتعدى بذلك الحرف، وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشذوذ[108]، فالكوفيون أقلُّ تعسفا من البصريين في هذا البابً[109].

الباء بمعنى على: تأتي الباء بمعنى على كما في قوله تعالى: ﴿**مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ**﴾[110]. أي على قنطار[111]، وممّا جاء في الديوان[112]:

وقد أغتدي ومعي القانصان وكلٌّ بِمَرْبَأةٍ مُقْتَفِرْ

فأراد على مربأة؛ لأن (المربأة): مكان يُربأ عليه، وهو شبيه بالجبل ونحوه،فإذا علاه الرابيء كشف ما دونه وما خوله وجاء في لسان العرب: (ومَرْبَأةُ البازي: منارة يربأ عليها)[113].وقوله[114]:

وَهَلْ يَنْعَمَنْ إلاّ سعيدٌ مُخَلَّدٌ قَليلُ الهمومِ مَا يبيتُ بأوجال

فأراد على أوجال، جمع وَجَل، والوجل: الفزع والخوف، فتقول: فزعت عليه، وكذلك خفت عليه، وجاء في لسان العرب قول معن بن أوس المزني[115]:

لَعَمْرُكَ مَا أدري، وإنّي لأوجلُ على أيّنَا تغدو المنيّة أَوّلُ

وورد غير ذلك في الديوان[116].

الباء بمعنى (من): تأتي الباء بمعنى (من)، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿**يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ**﴾[117]، أي: منها، وقول الشاعر[118]:

شَرِبْنَ بماءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفّعت متى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نئيجُ

أي: شربن (من ماء البحر)، وقد ضمن البصريون الفعل (يشرب) في الآية الكريمة و(شربن) في قول الهذلي معنى (يروي) ونحوه.وقول امرئ القيس[119]:

تذكّرت أهلي الصالحين وقد أَتَتْ على حَمَلٍ بنا الرّكابُ وأعفَرا

أراد عن حَمَلٍ منّا الركابُ، ورواه السّكري عن الكلبيّ: (على جملٍ منّا الركاب)[120]. وقولنا أنّها تضمّنت معنى (منّا)، لأنّ الركابَ تسير برغبة راكبها، وتوجد به ولا يسير هو برغبتها، فالشاعر أناب (الباء) مكان (من) لإظهار مخالفة الرغبة بين الركاب وأهلها؛ فهي في البيت الذي يليه تنظر وترى ما لا تحبّ لحقارته، وتظهر في السياق مفارقة واضحة بين ما يريده الشاعر وما تريده الركاب.

الباء بمعنى في: ذهب بعض اللغويين إلى أن الباء تكون للظرفية إن حَسُنَ وضع (في) موضعها، كما في قوله تعالى: ﴿**نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ**﴾[121]. و﴿**نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ**﴾[122]. وممّا جاء في الديوان قوله[123]:

وَلَمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ والآلُ دونَها نَظَرْت فلم تَنْظُر بعينيك مَنْظَرَا

فالمعنى: فلم تنظر في عينيك منظراً، فالشاعرُ لا يقصد أن يرى منظراً مستعيناً بالعين، بل لم يرَ منظراً أراده في العينين؛ فهو يريد "أن ما يراه غير مرئي لحقارته وقبحه في عينيه"[124]. وقوله:

وقد أَذْعَرُ الوَحْشَ الرِّتاعَ بِغِرَّةٍ وقد أجتلي بيضَ الوجوهِ الرّوَائِقَا

والمعنى (في غرّة)؛ لأن الغرّة: الأخذ على حين غفلة [125]، ففي الوقت الذي تكون فيه الوحش متغافلة في رتاعها ولهوها يذعرها الشاعر، وجاء غير ذلك في الديوان[126].

عَنْ: يرى اللغويون إنّ (عن) تأتي لمعانٍ متعددة، أهمها[127]: المجاوزة، ولم يذكر البصريون سواه، وهو الأصل؛ لذا عدّى بها "صدّ وأعرض وأضرب، وانحرف، وعدل، ونهى، ونأى..."[128] وتأتي بمعنى البدل، والاستعلاء والاستعانة، والتعليل، والظرفية، وبمعنى (من)

وتأتي بمعنى بعد.

عن بمعنى الباء: ذكر اللغويون إن (عن) تأتي بمعنى الباء[129] كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾[130]. أي به، ويذكر ابن هشام أنها في هذه الآية الكريمة على حقيقتها أي، وما يصدر قوله عن هوى، فهي للمجاوزة؛ لأن نطقه متباعد عن الهوى ومتجاوز عنه[131]، وتأتي أيضاً بمعنى الباء كما في قولك (رميت عن القوس)، أي مستعيناً بالقوس، وحكى الفرّاء أن العرب تقول: "رميت عن القوس، وبالقوس وعلى القوس"[132].

ومما جاء في الديوان قوله:

تَصُدُّ وتبدي عن أسيلٍ وتتّقي بناظِرَةٍ من وحشِ وَجْرَة مُطْفِلِ

فالمعنى تصدُّ وتبدي بأسيلٍ، ولا يكون المعنى عن أسيلٍ وتبدي به، ولا تصدُّ بأسيلٍ وتبدي عنه؛ لأنّ ذلك يكون من باب التنازع، ويضيف المالقي "وقد تقدّم في غير موضع أنّ الحروف لا يوضع بعضها موضع بعضٍ إلا إذا كان الحرف في معنى الآخر، أو مردوداً إليه بوجهٍ ما، وأما مع عدم الرجوع إليه أو إلى العامل فلا يجوز بوجهٍ، فاعلمه"[133]. ونرجّح أنّ الشاعر ذهب إلى هذا التناوب؛ ليشمل الإعراض والكشف في آن، أو الرغبة والتمنّع عن المحبوبة.

وقوله[134]:

تُطَايِرُ شُذَّانُ الحَصَى عن مَنَاسِمٍ صِلاَبِ العُجَى مَلْثُومُهَا غَيْرُ أَمْعَرَا

أي تطاير شذان الحصى من مناسمٍ، وهذا تؤكده رواية الأصمعي: "ظِرَّانَ الحصى بمناسِم". وتبدو رغبة الشاعر بإظهار قوّة الناقة، فهي ترمي الحصى وتتجاوز عنه دون تهيّب.

عن بمعنى من: وتأتي عن بمعنى (من) كما في قوله تعالى: ﴿**يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾[135]. أي: من عباده[136]، ويقول امرؤ القيس[137]:

قد أتاني عن مُرَيْئٍ مَأْلُكٌ لابنَةِ الحصَّاءِ أنْ هَبْها فَجُدْ

والمعنى: أتاني من مُرَيْئ –وهو تصغير امرئ– مَأْلُكٌ: أي رسالةٌ، ولعلّ ميل الشاعر لهذا التناوب يعود للجفاء القائم مع الآخر، ويبدو ذلك من تصغيره تحقيرا له، وفي بيت لاحق يصفه بالهرّ الصرد، ونظنّ أنه لو جاء بـ (من) لأفاد نوعا من الودّ. وقوله[138]:

كَأَنَّ فُصوصَ الطّوقِ لما تناثرت ضياءُ مصابيحٍ تطايرْن عن شُعَلْ

والمعنى: تطايرن من شُعَلٍ، أو (من أجلِ) شُعَلٍ، نحو قولك: "قام فلانٌ لك عن إكرامك"

أي: من أجل إكرامك[139].

عَنْ بمعنى بَعْدَ: وتأتي عن بمعنى بعد[140]، كما في قوله تعالى: ﴿**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ**﴾[141]، أي: بعد طبق[142]، وقول امرئ القيس[143]:

ويُضْحِي فتيتُ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَؤومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتطِقْ عَن تَفَضُّل

يقول السكري: "ومعنى (عن): بَعْدَ، كما تقولُ: ما عَرِقَ عن الحُمّى؛ أي: بَعْدَ"[144].

اللام: يرى اللغويون أنّ للام ما يقارب اثنين وعشرين معنىً، وممّا وقفنا عليه في الديوان:

اللام بمعنى إلى: فتأتي اللام بمعنى إلى كما في قوله تعالى: ﴿**كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى**﴾[145]. أي إلى أجل مسمّى[146]، وذكر ابن عقيل أن استعمال اللام للانتهاء قليل[147]. ومما جاء في الديوان[148]:

أَدَامَتْ عَلَى مَا بَيْنَنَا مِنْ نَصِيْحَةٍ أُمَيْمَةُ أَمْ صَارَتْ لِقَوْلِ المُخَبِّبِ

فالمعنى: صارت إلى قول المخبِّب، والمخبّبُ: الخدّاع الخبيث[149]، ويقول السكري: "لقول أي: إلى قول، كقولك: رُدّه لوطنه، أي: إلى وطنه"[150].

اللام بمعنى في: تجيء اللام بمعنى (في) كما في قوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾[151]. بمعنى: في يوم القيامة[152]، وقول امرئ القيس[153]:

تَبِيْتُ لَبُوْنِي بِالقُرَيَّةِ أَمْنَاً وَأَسْرَحُهَا غِبّاً لأَكْنَافِ حَائِلِ

والمعنى: أسرحها غبّا في أكناف حائلُ. وقد يكون المعنى إلى أكنافِ حائل، وعليه فهي

لم تدخل أكناف حائل، بل على حدودها ومشارفها. كما أنّ التناوب قد يكشف عن مدى الأمن الذي حصّله الشاعر حتى وصل إلى أبعد ما يمكن من المسافة (إلى)، وهو مايشير إلى القوة والمنعة وتحقيق الأمن. وقوله[154]:

مَنْ كَانَ يَأْمَلُ عَقْرَ دَارِي مِنْ أَهْلِ الأَوْدِّ لَهَا وَذِيْ الذَّحْلِ

والمعنى: أهل الأود فيها، وربما تحوّل الشاعر إلى التناوب ليقارب التركيب من المعنى فـ (في) تفيد شيئا من الوديّة والداخل، أما اللام فربما جمعت بين العدوّ الداخلي والخارجي الذي قصد الشاعر. وقوله[155]:

وَدَوِّيةٍ لاَ يَهْتَدِي لِفَلاَتِهَا بِعِرْفَانِ أَعْلاَمٍ وَلاَ ضَوْءِ كَوْكَبِ

يقول السكري: (لا يهتدي فيها بضوء الكواكب)[156] فاللام بمعنى: في؛ إذ إنّ الدّوية تعني الفلاة الواسعة، فلا يكون الاهتداء أو الخروج من الدّوية إلى الفلاة، وإنّما هي جزء من الدوية، والتائه يكون فيها وليس لها (الفلاة).

الكاف: ذكر ابن هشام خمسة معانٍ للكاف[157]: التشبيه، والتعليل والاستعلاء، والمبادرة وتكون إذا اتصلت بـ(ما)، نحو: (سلّم كما تدخُلُ).وعدها من الغريب جداً، وزائدة للتوكيد.

. الكاف بمعنى: على، والباء: تأتي الكاف بمعنى (على) كما تقول: كخير جواباً لمن قال: كيف أصبحت؟ أي: على خيرٍ، وقيل المعنى بخير، ولم يثبت مجيء الكاف بمعنى الباء، وقيل: هي للتشبيه على حذف مضاف، أي كصاحب خير[158]، جاء في سرّ الصناعة: "وأعلم أنّ من كلام العرب إذا قيل لأحدهم: كيف أصبحت؟ أن يقول: (كخير)، والمعنى: على خير. قال أبو الحسن: فالكاف في معنى على، وقد يجوز عندي أن يكون في معنى الباء، أي: بخير"[159]. وذكر أبو الحسن الأخفش: "ونحو منه قولهم: كن كما أنت، أي كن على الفعل الذي هو أنت"[160].

ومن ذلك قول امرئ القيس[161]:

وَتَحْسَبُ سلْمَى لاَ تَزَالُ كَعَهْدِنَا بِوَادِي الخُزَامَى أَو عَلَى رَأْسِ أَوْعَال

فالمعنى: (لا تزال محافظة على عهدنا). وربما اختار امرؤ القيس الكاف في هذا الموضع لإحضار المماثلة في ذهن المتلقي (المحبوبة)، فهو بهذا يرسم صورة أكثر جمالية من استعمال حرف الجر (على) الذي قد يوحي بالعهد والمعاهدة في حين أنّ الكاف تفيد الصورة التشابهيّة وإحياء الذكريات.

وقد تأتي الكاف بمعنى الباء على خلاف بين النحويين، فابن هشام قال: "لم يثبت مجيء الكاف بمعنى الباء"[162] وعند ابن جني: "قد يجوز أن تكون بمعنى الباء"[163]، ومما وجدناه في الديوان قوله[164]:

مَهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ

فإذا نظرنا إلى معنى السجنجل في هذه الرواية فإن معنى الكاف هو التشبيه، والسجنجل في شرح السكري: المرآة، أو قطع الفضة وسبائكها، إلا أن الذي دفعنا إلى القول بأن الكاف بمعنى الباء في هذا الموضع ما رواه أبو عبيدة: بأنّ السجنجل هو الزعفران فيكون المعنى: ترائبها مصقولةٌ بالسجنجل، أي بالزعفران[165].

الخاتمة:

يتبين لنا بعد بسط الشواهد والأمثلة من ديوان امرئ القيس ومتابعتها في مظان الكتب جملةٌ من الحقائق:

أولاً: تعدُّ مسألة التناوب بين حروف الجرّ من المسائل المختلف فيها بين علماء العربيّة؛ البصريين والكوفيين.

ثانياً: رأينا بعض علماء البصرة من قال بالتناوب بين حروف الجرّ.

ثالثاً: تعدُّ مسألة التناوب بين حروف الجرّ من المسائل التي رخّصت اللغة لأبنائها استعمالها، كالتقديم والتأخير والإضمار والإظهار، والحذف والزيادة.

رابعاً: جاء في لغة القرآن الكريم حروف جر ناب بعضها عن بعضها الآخر، كما ظهر في ثنايا هذا البحث، وفي مظان العربية، وفي شعر فصحاء العرب كامرئ القيس الذي هو من عصور الاحتجاج اللغوي.

خامساً: توصل البحث أيضاً إلى أن رواية البيت الشعري الواحد بأكثر من رواية ليست دليلاً على أن هذا الحرف قد ناب عن الآخر، فتعدّد الرواية من عمل الرواة أنفسهم، إذْ لا يعقل أن يقول الشاعر البيت الواحد بأكثر من رواية.

الهوامش:

([2]) انظر: ابن يعيش، موفق الدين (ت643هـ/1254م)، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، 7/8، وأبا إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السِّري (ت311هـ/922م)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م، 120/1، وسيبويه، أبا بشر عمرو بن عثمان (ت180هـ/791م)، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، 419/1.

([2])ابن يعيش، شرح المفصل، 7/8.

([3]) ابن جني، أبو الفتح (ت392هـ/1003م)، الخصائص، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، 92/2، وانظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر، عمان، ط2، 2003م، 10/3.

([4]) سورة البقرة، 195.

([5]) ابن هشام، جمال الدين (ت761هـ/1372م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حقَّقه مازن المبارك وآخرون، مكتبة سيد الشهداء، ط5، 1972م، 147/1.

([6]) السامرائي، فاضل، معاني النحو: 11/3، وانظر مليطان، محمد، التضمين في القرآن الكريم بين التفسير والتأويل، الشبكة العنكبوتية،. مليطان، محمد: التضمين في القرآن الكريم،.mmlit an@gmail.com.

([7]) المطففين: 28.

([8]) القرطبي،محمد بن أحمد(671هـ . 1282م):الجامع لأحكام القرآن الكريم، تحقيق:أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب القاهرة،ط1372،2هـ 126/19 وقدضمن ابن كثير ،إسماعيل بن عمر(774هـ1452م):تفسير القرآن العظيم، دار الفكر،بيروت،1401هـ، 455/4، وقد ضمن(يشرب) معنى (يروي) حتى عدّاه (بالباء)، والسيوطي، جلال الدين(911هـ .1522م):الدر المنثور، دار الفكر،بيروت،1993، 369/8.

([9]) طه: 171.

([10]).عواد، محمد حسن، تناوب حروف الجر في القرآن، دار عمار، عمان، ط1، 1982م، 5.

([11]) انظر: المالقي، أحمد بن عبدالنور (ت702هـ/1313م)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط2، 1985م، 222، والمخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة، دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1986م: 24

([12]) اعتمد الباحثان في الدراسة على ديوان امرئ القيس، بشرح أبي سعيد السكري، دراسة وتحقيق: محمد الشوابكة، وأنور أبو سويلم، دار عمار، عمان، ط1، 1980م، وسنشير إليه لاحقاً بالديوان.

([13]) ابن هشام، جمال الدين (ت761هـ/1373م)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1998م، 3/20-27، وانظر المالقي، رصف المباني، 388، وابن عقيل، بهاء الدين (ت769هـ/1380م(، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1993م، 2/17-18، وابن هشام، مغني اللبيب: 1/419-431، وزاد ابن هشام، معاني أخرى

([14]) المالقي، رصف المباني: 450.

([15]) الديوان: 2/617.

([16]) الجمعة: 9.

([17]) انظر ابن هشام، أوضح المسالك، الحاشية: 3/26.

([18]) الديوان: 2/436.

([19]) الديوان: 2/437.

([20]) ابن منظور، لسان العرب: 12/21.

([21]) انظر الديوان، البيت رقم (3): 2/487، و(33): 1/286، و(78): 1/91، و(2): 2/633، و(1): 775، و(2): 2/721، و(7): 2/476.

([22]) انظر المالقي، رصف المباني: 430، ومحمود سعد، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ت)، (د.ط)، 289، وابن هشام،: مغني اللبيب: 1/196، وابن يعيش، شرح المفصل: 8/39-40، والسامرائي، فاضل: معاني النحو: 46.

([23]) السيوطي، جلال الدين، (ت911هـ/1522م)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، (د.ت)، (د.ط): 2/443.

([24]) سيبويه، الكتاب: 4/227.

([25]) نفسه: 4/227.

([26]) قريش: 4.

([27]) الزمر: 22.

([28]) الديوان: 2/462.

([29]) الديوان: 2/463.

([30])المرجع السابق: 2/462.

([31])المرجع السابق: 2/635.

([32])المرجع السابق : 2/713.

([33]) انظر السيوطي الهمع: 2/414 وما بعدها، وعواد: تناوب حروف الجر: 85-88 وسعد،محمود، حروف المعاني: 231 وما بعدها.

([34]) النساء:87.

([35]) الديوان:665/2.

([36]) ابن هشام، مغني اللبيب: 105/1.

([37]) المالقي: وصف المباني:82.

([38]) الديوان: 688/2.

([39]) المرجع السابق: 627/2.

([40])المرجع السابق: 627/2.

([41]) انظر ابن يعيش، شرح المفصل: 128/2 والمالقي وصف المباني: 394.

([42]) النساء:2.

([43]) الصف:14.

([44]) المائدة:6.

([45]) الديوان:381/1.

([46])المرجع السابق: 382/1.

([47]) انظر الهروي، علي بن محمد (ت) الأزهية في علم الحروف، تحقيق: عبد المعين الملوحي، دمشق (197–283)وعواد تناوب حرف الجر: 88، ولم نعثر في نسخة الديوان الذي بين أيدينا.أثبت في نسخة بضبط وتصحيح:مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، ص33.

([48]) عواد، تناوب حروف الجر: 88.

([49])المرجع السابق:389/1.

([50]) الحموي، ياقوت، (ت:616هـ) معجم البلدان دار صادر– بيروت 1955م، 37/3و 120/1.

([51]) البقرة:14.

([52]) السيوطي: همع الهوامع:416/2.

([53]) الديوان: 330/1.

([54]) ابن هشام، أوضح المسالك: 35/3–36.

([55]) المبرد أحمد بن يزيد (ت:285/) المقتضب، تحقيق عبد الخالق عضيمة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م:139/4. وانظر سيبويه، الكتاب: 226/4.

([56]) النور:14.

([57]) النحل:89

([58]) الديوان:305/1

([59])المرجع السابق:305/1.

([60]) المرادي:، حسن، (ت749هـ1360م) الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: طه محسن مؤسسة الكتب للطباعة والنشر، بغداد 1976:252، وانظر عواد: تنادب حروف الجر: 111.

([61]) الديوان: 634/2.

([62]) انظر الديوان: 634/2.

([63])المرجع السابق:241/1.

([64]) الزوزني، عبد الله الحسين بن أحمد، (شرح المعلقات السبع، مكتبة النهضة- بغداد، ط1986: 26، والتبريزي، يحيي بن علي (ت502هـ) شرح القصائد العشر ضبطه وصححه، عبد السلام الصوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1985: 52.

([65]) طه:71.

([66]) الهروي، الأزهية، 278، وابن هشام معنى اللبيب: 224/1، والمبرد، المقتضب: 319/2 وفي الخصائص: قول امرأة من العرب: 96/2.

([67]) ابن جنى: أبو الفتح عثمان، (ت:392هـ) الخصائص، تحقيق عبدالحميد هنداوي دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2001م: 96/2.

([68]) الديوان: 691/2.

([69])المرجع السابق: 487/2.

([70])المرجع السابق: 489/2.

([71]) انظر الديوان: البيت الرابع 628/2 و (12): 479/3و (1): 633/2.

([72]) الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى، (ت:384هـ...) معاني الحروف، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، دار الشروق، جدة ط2 1981:96.

([73]) الأعراف: 38.

([74]) السامرائي: فاضل، معاني النحو: 51/3.

([75]) النحل: 89.

([76]) عواد: تناوب حروف الجر: 110.

([77]) الديوان: 305/1.

([78])المرجع السابق: 305/1-306.

([79]) الرماني: معاني الحروف: 107 وانظر، الأزهري، الشيخ خالد، شرح التصريح على التوضيح دار الفكر (د.ت) 18/2، والمرادي، الجنى الداني، 441-442.

([80]) المرادي، الجنى الداني: 444-447 والسيوطي، همع الهوامع 439/2-442.

([81]) القصص: 15.

([82]) الأزهري: شرح التصريح، 14/2.

([83]) الديوان، 449/2.

([84]) ابن منظور، لسان العرب: 317/15، والديوان: 449/2 شرح محققي الديوان.

([85]) الديوان: 687/2.

([86])المرجع السابق: 687/2، (حاشية المحققين).

([87])المرجع السابق: 700/2.

([88])المرجع السابق: 695/2. البيت الخامس.

([89]) المطففين: 2.

([90]) المؤمنون: 5-6.

([91]) السيوطي، همع الهوامع: 440/2 وانظر المرادي، الجنى الدائي: 445.

([92]) الديوان: 667/2.

([93]) ابن منظور، لسان العرب، 104/9.

([94]) الديوان: 695/2.

([95]) الأعراف: 105.

([96]) المرادي: الجنى الدائي: 445.

([97]) الأندلسي: أبو حيان (ت:754هـ....2) البحر المحيط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1990م، 355/4 وانظر الزمخشري جاد الله محمود بن عمر، (ت:538...) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، (د.ت) 100/2.

([98]) الأندلسي، البحر المحيط: 355/4.

([99]) الديوان: 644/2.

([100]) الهروي: الأزهية 287 وعواد: تنادب حروف الجر: 99، وجاء فيها عمرو بن مرثد، ونظنه تصحيفا في الأزهية، لأن عمرا ومرثدا شخصان مختلفان، وكأن المعنى: أتكرهون آخذ الثأر من مرثد في مقابل دم عمرو فهو ليس دونه، ينظر الديوان: 644/2 (حاشية المحققين).

([101]) الديوان: 394/1.

([102])المرجع السابق: 394/1.

([103])المرجع السابق: 410/2.

([104])المرجع السابق : 410/2.

([105]) انظر محمود سعد: حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، الناشر منشأة المعارف بالأسكندرية،(د.ت)، (د.ت)، 298.

([106]) المرادي، الجنى الداني: 102 وما بعدها، وانظر ابن هشام: أوضح المسالك: 32/3؛ ومغني اللبيب: 137/1 (وزاد معنى التوكيد) والسيوطي، الهمع: 416/2.

([107]) سيبويه، الكتاب: 217/4.

([108]) المرادي، الجنى الداني: 108 وابن هشام، مغني اللبيب: 150/1.

([109]) الأزهري، شرح التصريح: 4/2، وانظر ابن هشام، مغني اللبيب: 150/1.

([110]) آل عمران: 75.

([111]) المرادي، الجنى الداني: 106؛ وانظر السيوطي، همع الهوامع، 240/2.

([112]) الديوان: 623/2.

([113]) ابن منظور، لسان العرب: 69/6.

([114]) الديوان: 304/1.
([115]) ابن منظور، لسان العرب: 159/15.
([116]) انظر الديوان: البيت رقم (52): 145/1، و(15): 466/2.
([117]) الإنسان: 6.
([118]) لأبي صخر الهذلي في ديوان الهذليين: 51/1.
([119]) الديوان: 423/2.
([120]) الديوان: 423/2 (الحاشية).
([121]) آل عمران: 123.
([122]) القمر: 34.
([123]) الديوان: 424/2.
([124]) نفسه: 424/2 (الحاشية).
([125]) ابن منظور، لسان العرب: 31/11.
([126]) ينظر الديوان، البيت (17): 324/1 و(8): 586/2.
([127]) انظر ابن هشام: مغني اللبيب: 196/1؛ وسعد، ردف المعاني: 289.
([128]) السيوطي، همع الهوامع: 443/2.
([129]) انظر ابن يعيش، شرح المفصل: 40/8 والرماني، معاني الحروف: 94، وابن هشام، مغني اللبيب: 198/1؛ والسيوطي، همع الهوامع: 443/2.
([130]) النجم: 3.
([131]) ابن هشام، مغني اللبيب: 198/1؛ والرماني: 289.
([132]) المرادي، الجنى الداني: 263.
([133]) المالقي، رصف المباني: 432.
([134]) الديوان: 420/2.
([135]) الشورى: 25.
([136]) السيوطي، الهمع: 444/2 وانظر ابن هشام، المغني: 198/1 وعودا، تناوب حروف الجر: 106.
([137]) الديوان: 662/2.والمألك: الرسالة، ولا نظير لها، أي لم يجيء على(مَفْعُل) إلا هي، انظر ابن منظور،لسان العرب،136/1 ونظن أنَّ ضبطها في الديوان على الوهم(مَأْلك) والصواب ما ذكرنا (مَأْلُك).
([138])الديوان: 767/2
([139]) المالقي: رصف المباني، 498.
([140]) المرادي، الجنى الداني: 263. و سعد: معاني الحروف، 95.
([141]) الانشقاق: 19.
([142]) السيوطي، همع الهوامع: 443/2.

([143]) الديوان: 424/2.

([144]) الديوان: 425/2 وانظر المالقي: رصف المباني، 430.

([145]) الرعد: 2.

([146]) الأزهري: شرح التصريح، 11/2.

([147]) ابن عقيل: شرح ابن عقيل، 20/2.

([148]) الديوان: 368/2.

([149]) ابن منظور، لسان العرب: 6/5.

([150]) الديوان: 368/2.

([151]) الأنبياء: 47.

([152]) السيوطي، الهمع: 454/2.

([153]) الديوان، 572/2.

([154]) الديوان: 603/2.

([155]) الديوان: 372/1.

([156])الديوان: شرح السكري، 372/1.

([157]) ابن هشام، المغني: 233/1 وما بعدها.

([158]) السابق: 235/1.

([159]) ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392هـ/**) سر صناعة الإعراب، حققه: أحمد فريد أحمد، قدّم له: فتحي عبدالرحمن حجازي، المكتبة التوفيقية، (د.ن): 282/1.

([160]) ابن جني، سر الصناعة: 282/1.

([161]) الديوان: 309/1.

([162]) ابن هشام، مغني اللبيب: 235/1.

([163]) ابن جني، سر الصناعة: 282/1.

([164]) الديوان: 214/1.

([165])المرجع السابق: 214/1، 215.